



قلوب جزيرة

الكاتبة
سلسبيل أحمد

الصمت يوجع أحيانًا أكثر من الكلمات، لكنه الخيار الوحيد حين لا يُجدي الكلام.

_مريم نصر

"شخص جديد"

أجمل الأشياء في هذه الحياة أن تعتمد على نفسك فقط، وألا تجعل احتياجك للآخرين أساساً لحياتك. فالحياة مليئة بالأشخاص الذين تسعى دائماً لإرضائهم، تُعطيهم من وقتك واهتمامك، لكنهم لا يبادلونك حتى القليل. لقد أرهقتني العلاقات التي تشعرني بأنني الطرف الوحيد الذي يبذل الجهد للحفاظ عليها.

"حينما لا يكون الحب نصيباً"

الحبّ ليس دائماً قدرًا محتومًا، فليس كلّ من نحبه يكون لنا. أحببته، لكنني أيقنت أنّه يميل إلى فتاةٍ أخرى، فأثرت الصمت رغم ألم المشاعر. أدركتُ أن القدر يجمعنا بأشخاصٍ لن يكونوا لنا، لا ليقبوا، بل ليعلمونا دروسًا ثم يرحلون.

ورغم محاولاتي لنسيانه، أجدني أعود إليه بالذاكرة، متمنيّةً لو كان لي نصيبٌ معه. لكن الحقيقة تفرض نفسها: ليس كلّ ما نريده يتحقق، وليس كلّ حبٍّ يُكتب له الاستمرار.

لعلّ النصيب يحمل لنا ما هو أفضل، ومن يعوّضنا عمّا فقدناه. علينا فقط أن نؤمن بأنّ الله يخبئ لنا دائماً الأجل.

"حيث يخلف الوعد صداه"

أيُّها الأصدقاء، كم وعدتم بأن تكونوا العزاء حين يحلُّ الهمُّ،
لكنَّ الوعودَ راحت كالنسيم، مختفيةً بين أنين اللحظات.
أصبحتُ أتلمسُ أثرَ حضورٍ مفقودٍ في كل زاويةٍ من قلبي،
حتى أدركتُ أنَّ الألمَ هو مرشدُ الروح لمن لا تثق بأنفسهم.

ورغمَ الخذلانِ الذي خلفتموه خلفكم، يبقى في قلبي بصيصُ أملٍ،
يذكّرني بأنَّ للحياةِ دروساً تُعلِّمنا كيف نرتقي بعد الانكسار.
فلنستقبلِ الأيامَ القادمةَ بذراعٍ مفتوحةٍ وقلبٍ مطمئنٍ،
علَّ في لقاءٍ جديدٍ نُعيد فيه بناءَ الجسورِ التي هدمتها الأيام.

"حين يصبح الخذلان درساً"

في خذلانٍ من كنتُ أظنُّ أنه المأوى والأمان
تعلمتُ أن السقوط لا يأتي إلا حين نضعُ ثقتنا في السراب
واليوم أُعيدُ بناء نفسي، قطعةً بقطعة،
من جراح العشق الذي خانني ومن صدى الأصدقاء الذين غابوا

قد يكون الألم ثمنَ الحب، ولكنه درسٌ قاسٍ يُعلمُ
أنَّ من يبحثُ عن دفءِ قلوبٍ صادقةٍ لن يذوقَ مرارة الخذلان.

"حين يصبح التعلق اذي"

ما أذيتُ إلا نفسي عندما تعلقْتُ بأشخاصٍ لن يبقوا معي
كنتُ أملاً قلبي بالأحلام والوعود، أظنُّ أن الوفاء سيد الدروب
لكنَّ من كنتُ أحبُّه خانني، وتلاشى كسرابٍ في ظلال الخيبة
وتركتني أبحثُ عن دفء الإخلاص في عيونٍ صارت سراباً بعيداً.

"يصبح الرحيل راحة"

هونتُ على أشخاصٍ لم أتوقع يوماً أن أهون عليهم. يؤلمني قلبي فقد كنتُ دائماً أسامح وأحسن إليهم، لكنّ كسرة القلوب لم تكن كما ظننت، فالألم لا يدوم كما كنت أخشى.

الآن، لن أصدّق أحداً مجدداً، ولن أتعلّق بأحد، فجميعهم يرحلون، وتبقى وعودهم مجرد كلمات بلا قيمة. لقد اكتفيتُ من الألم وخيبات الأمل، وحن الوقت لأن أضع نفسي أولاً، أن أحبّ ذاتي وأتوقف عن منح الفرص لمن لا يستحق.

أحياناً، الرحيل عن كلّ ما يؤذينا هو أول خطوات التعافي. لذا، سأكتفي بنفسي، ولن أبحث عن التقدير حيث لا يوجد. سأعيش لذاتي، وأمنح قلبي السكينة التي طالما افتقدها، فالهدوء في الروح أجمل من التعلق بمن يخذلنا مراراً.

"حين يبحث القلب عن الأمل"

لم يعد الفرح يسكنني كما كان في الماضي، وأصبحتُ أواصي الآخرين بكلماتٍ أحتاج أنا إلى سماعها، لكن لا أحد يقولها لي. اشتقتُ لنفسي القديمة، تلك التي كانت تضحك وتلعب، وليست هذه التي غمرها الحزن.

رغم وجود من أحبّ حولي، ما زلتُ أشعر بالوحدة وأخشى أن أفتح قلبي لأحدٍ ثم يخذلني. ومع ذلك، أبحث عن أمل، عن بصيص نور يعيدني إلى ذاتي. أدركتُ أن الألم جزءٌ من الحياة، لكنه أيضًا سبيلٌ للنضوج وبناء نسخة أقوى مني.

سأستمرُّ في مواسة الآخرين حتى يصبحوا أقوى، وسأمنح نفسي الثقة بأنني لن أبكي على ما قهرني في الماضي. سلامٌ على الذكريات، ومرحبًا بكلِّ ما يكتبه الله لي.

"الوحدة وطنًا"

أصبحتُ شخصًا حزينًا، منعزلًا، تملؤه الذكريات وخيبات الأمل. عدتُ وحيدًا إلى الحدّ الذي لم أعد أجد فيه من أخبره أنني لستُ بخير. وأحيانًا، أواسي الجميع بكلماتٍ أحتاج أنا إلى سماعها، لكنني أدركتُ أن هذا لن يحدث، فقد اكتفيتُ بنفسِي.

الوحدة مؤلمة، لكنها تبقى أهون من خيبات الأفتنة الزائفة. حين تتصلح مع ذاتك، تصبح الوحدة جميلة، بل ملاذًا آمنًا من زيف العلاقات. أصبحتُ وحيدًا، لا أحد بقربي، وكلُّ من حولي تغير، دون أن يدركوا ما يؤلمني أو ما أمرُّ به.

لكنني تعلمتُ أن في الوحدة سكينة، وأنَّ أجمل لحظاتها هي تلك التي تقضيها في أماكنها الهادئة. فلا بأس، فقد كنتُ دائمًا بمفردي، وربما في هذه العزلة أجد نفسي من جديد.

"وسلاماً علي من كان كل شيء في يوم"

لن أنسى أنك أجبرتني على الرحيل في وقتٍ لم أجد فيه لأحدٍ إلا لك. ولكن،
أين أنت؟

أصبحتُ أتساءل عن المحادثات والوعود التي كانت بيننا.

سوف أسامحك، فهذا ليس سذاجةً مني، ولكن هذه هي شخصيتي.

أنتَ لن تعرف الأوقات التي كنتُ أبكي فيها شوقاً إليك، فما بالك بمشاعري
التي ارتطمت بالأرض. ولو عدتَ معذراً، فصدقني، لن أرجع إليك.

فارحل كأنك لم تكن في حياتي يوماً، ولا في قلبي.

قلبي كان لك، ولكن هذه المرة لن يكون.

فسلامٌ عليك كأنك شخصٌ غريب.

"حين يصبح الغياب حقيقة"

رأيتها اليوم، وكنتُ أظنُّ أنها ستتذكّرني، وأنَّ لهفتها للقائي ستكون واضحة، لكن كان ظنِّي بها خاطئاً؛ فهي لن تتذكّرني، ولو لدقائق.

كنتُ أرغب في الحديث معها عمّا كان بيننا، لكنني أدركتُ أنّها على حقّ، فهي لم تعد تريدني. كُنّا دائماً نعاتب بعضنا على كلّ شيء، حتى لا نفترق لحظة، أما الآن، ومن دون سبب، رحلتُ.

فكان هناك عتابٌ في الماضي، أما الآن، فلا شيء سوى الصمت. أين أنتِ؟ كنتُ دائماً أعود إليك وأتحدّث معك، لكن لا بأس، فقد اعتدتُ وحدتي، كما كنتُ دائماً.

"وَعُودُ بِلَا أَثَرٍ"

كنتُ أظنُّ اليومَ أنَّ صديقتي ستظلُّ معي، لكنها رحلتُ دونَ أنَ أعرفَ ماذا فعلتُ. كُنَّا قبلَ أيَّامٍ قليلةٍ نتحدَّثُ ونضحكُ ونتعاهدُ على أنَ نبقى سندانًا لبعضنا مهما طال بنا العمرُ. ولكن الآنَ، لا أرى لهذه الوعودِ أثرًا.

هل كنتِ تتوين فعلاً الوفاءَ بها، أم أنَّكِ مللتِ من صداقتنا؟ في الأوقاتِ الأخيرة، كنتِ تبدين كشخصٍ غريبٍ لا أعرفه.

"ذكريات لا تنسى"

لن أنسى، فلا أستطيع أن أنسى حتى لو أردت. فأصحاب الذكريات كانوا أكثر الناس الذين يملكون قلبي، ولكن مع مرور الوقت قد خذلوني. ومع ذلك، من الصعب نسيانهم، فأنا شخص يصعب عليه نسيان الأشياء الجميلة. ذكرياتهم تلاحقني في كل مكان، ولكن لا بأس، فقد تأقلمت معها.

"من الألفة إلى الغربة"

أصبحنا غرباء، كأننا لم نكن يوماً من أقرب المقربين لبعضنا. كنتُ دائماً
أسامح، وأعفو، وأعاتب، وأغفر أخطاءً لم أكن سبباً فيها. كنتُ صادقاً معك
في كلِّ مشاعري، ولكن هذه المرّة، إيّاك أن تستهيني بصمتي على الأخطاء،
أو تظنّي أنني ضعيف، فقد كان ظنُّك خاطئاً.

بالنسبة لي، الوحدة مزعجة، لكنها أهون من البقاء مع أشخاص لا يشبهونني
ولا يُقدِّرون وجودي. اعلمي أنّك كنتِ يوماً أقرب شخصٍ لي، أما الآن، فقد
أصبحتِ كالغريب. أتذكّر كلّ شيءٍ حدث بيننا، لكنني لا أريدك في حياتي
مجدداً.

"حين يفرقنا الزمن"

يهزمني بكائي شوقاً لأشخاصٍ قد رحلوا، فأنا أراهم مع أصدقائهم، لكن ليس معي. أراهم وأرغب في معاببتهم: ماذا حدث لنفترق؟ لكنني أعلم أنهم، كعادتهم، سيلومونني ويرمون كلَّ أخطائهم عليّ، وكأني دائماً المخطئ، وهم لا.

سأظلُّ أتذكركم، وسأحكي عنكم كما لو كنا ما زلنا أصدقاء، لكنَّ الحياة فرقتنا بسبب دراستنا وانشغالنا بها وبأمور الحياة.

"حين تكون الخيار الأخير"

أكثر ما فهمته من الحياة هو أنه إذا وُضعتُ في مقارنة، فلن يختاروني، وهذا ما يؤلمني كثيرًا. فقد كنتُ دائمًا أختاركم، فلماذا لم تختاروني؟

أصبحتُ شخصًا وحيدًا، يملؤه الحزن. أرى الناس يحيط بهم الأصدقاء، يضحكون سويًا، بينما أجلس بمفردي، أتذكر الماضي الذي ما زال يُحاصرني حتى في المنام.

فنبأ لقلوبنا التي تضعف، رغم كلِّ ما تعلّمته.

"سهام الخذلان"

غادر حياتها فجأة، تاركًا وراءه ذكرياتٍ وأحلامًا لم تكتمل. أحبته كثيرًا، لكنه تركها للحزن والتفكير اللذين استوطننا أيامها. وفي لحظة الرحيل، غرس سهم الخذلان في قلبها، متشابكًا مع آلامها، فانكسر شيءٌ عميق بداخلها.

كانت تطارده بعينيها، تتمنى لو يعود ليكمل القصة التي بدأها معها، لكنه غاب كما تغيب النجوم في السماء. تركها لذكرياتٍ تقاوم نسيانها، لكنها لم تستطع نسيان حبها له. وعلى الرغم من السهام التي غرست في قلبها، ظلَّ الوجد جزءًا من حياتها، تعيش بين لحظاتٍ جمعتهما سويًا، ولحظاتٍ قاسيةٍ نزلت على قلبها كالصاعقة.

"غادرتِ دون عتاب"

أحببتُ الصمتَ كثيرًا، فلم يبقَ لي أحدٌ كما كان في الماضي. اشتقتُ إليها
واشتقتُ لمحادثاتنا الطويلة، لكنها باتت متباعدة، وكأننا أصبحنا غرباء.

أريد أن أعترف أنني اشتقتُ إليك كثيرًا، لكنك لا تشعرين بذلك. كنتُ أبكي
شوقًا، لكنني لا أظنُّ أنني جنثُ على بالك. كنتُ أظنُّ أن الوعود تُخلف فقط
بين الأحبة، لكن اتضح أنها تُخلف أيضًا بين الأصدقاء.

أتذكّر وعودك حين كنتِ تقولين: "لن يُفرّقنا شيءٌ إلا الموت"، لكن فرّقنا
الوقت. ظننتُ أن البعد لن يؤثر علينا، لكن كان ظني خاطئًا.

لقد غادرتِ دون عتاب.

"حين يكون القلب عثرة في طريق النسيان"

دائمًا أحاول ألا أضعف أمام الأشخاص الذين أحببتهم، وأن أبدو شخصًا قاسيًا، لكنني أضعف في كلِّ مرة. محاولاتي العديدة لأكون بارد المشاعر باءت بالفشل، وكأنَّ قلبي يأبى أن يتخلَّى عن طبيته.

أدركتُ أنَّه لا بدَّ أن تفقد قلبك أحيانًا، ليكمل عقلك التعامل مع الأشياء التي تؤلمك. فالتعلُّم من الخذلان جزءٌ من النضج، والتظاهر بالقوة لا يعني دائمًا أننا تجاوزنا الألم. هناك جراحٌ لا تندمل بالكبرياء، بل تحتاج إلى وقتٍ وسلامٍ داخلي.

"حين يصبح الحب وجعاً"

أعلم أنّ الحب جميل، لكنّه في الوقت ذاته قد يحرق القلب. أن تحبّ شخصاً لا يُقدّر مشاعرك، ولا يخونك، لكنّه يؤلمك بكلماته وتصرفاته، فذلك أشدّ أنواع الوجع.

الحب الحقيقي ليس مجرد مشاعر، بل هو احترام واحتواء، ألا تُضطر يوماً إلى كتمان حزنك خوفاً من أن يُقال لك: "أنت تبالغ". الحبُّ هو أن يحافظ أحدهم على كرامتك كما يحافظ على قلبك، وألا يمنح نفسه الحقّ في جرحك، ولو دون قصد.

فالألم ليس سهلاً، لكن الأصعب منه هو أن يكون السبب في وجعك هو الشخص الذي كنت تظنّه الأمان.

"حين تصبح الصداقة وحدةً أخرى"

دائمًا ما كرهتُ الصداقات الثلاثية والرباعية، ليس لأنني لا أومن بجمالها، بل لأنني لم أملك أصدقاءً يشاركونني تلك الأحاديث واللحظات. من المؤلم أن أسير معهم فأجدهم يضحكون ويتحدّثون معًا، بينما أشعر أنني مجرد ظلٍ لا يلاحظه أحد.

أدركتُ أن الصداقة جميلة، لكنّها قد تكون مؤلمة أيضًا حين لا نشعر بأننا جزءٌ حقيقيٌّ منها. أحيانًا نتعلّق بأشخاص نظنّهم ملاذنا الوحيد، لكن الحقيقة الصادمة هي أن المشكلة لم تكن فيهم، بل فينا، لأننا وضعناهم في أماكن لا يستحقّونها. فالصداقة ليست بعدد الأصدقاء، بل بمن يشعر بك حتى في صمتك.

"ميزان المغفرة المختل"

سامحناكم أكثر من مرّة على أخطاءٍ لم يكن فيها غفران، لكنّ سداجتنا في محبتكم كانت أكبر من أن نحاسب. كنّا نغفر وننسى، لا لأنّ الخطأ كان هيئاً، بل لأنّ قلوبنا كانت ممتلئة بالودِّ لكم.

لكنّكم عندما نخطئ، تُلقون علينا اللوم كاملاً، وكأنّنا ارتكبنا ذنباً لا يُغتفر. لا تمنحون أعداراً كما كنّا نفعل، ولا تحاولون فهم دوافعنا كما كنّا نحاول. وكأنّ ميزان التسامح يميل دائماً لصالحكم، بينما يُطلب منّا أن نقبل الإدانة بصمتٍ لا اعتراض فيه.

فما أقسى أن تُعامل بحبِّ، ثم تُحاسب بقسوة، وكأنّك لم تُعطِ يوماً قلبك لمن لا يُقدّره!

"قرارٌ نحو السلام"

قررتُ التوقف عن التعلُّق بأشخاصٍ لا يُقدِّرون قيمتي، بعدما تكرَّرت خيبات الأمل التي علَّمتني درسًا قاسيًا. لطالما كنتُ طيبة القلب، أسامح دون تردُّد، وأمنح الفرص لمن لا يستحق، لكنني أدركتُ أنَّ الوعود والكلمات لا معنى لها إن لم تُترجم إلى أفعالٍ صادقة.

اليوم، أختار أن أضع نفسي أولًا، أن أحبَّ ذاتي كما تستحق، وأن أبتعد عن كلِّ ما يُسبب لي الأذى. فقد أن الأوان أن أعيش بسلامٍ وراحة، بعيدًا عن خيبات الأمل التي أنهكت قلبي. ليس الأنانية أن تحمي نفسك، بل هو إدراكُ متأخِّرٍ لقيمتك الحقيقية.

"الوحده رفيقه العمر"

ما أعظم الوحده! إنَّها حقًا مؤلمة، لكنَّها أصبحت رفيقتي الأوفى، فلا أحد يدوم بجانبى طويلًا. اعتدتُ رحيل الجميع، حتى باتت الوحده أعرَّ أصدقائي، ترافقتي في كلِّ لحظة، تؤنسني حين يخذلني الآخرون، وتحضنني حين لا أجد كنفًا أستند إليه.

قد تكون الوحده قاسية، لكنَّها لا تخون، ولا ترحل بلا سبب، ولا تخذلني كما فعل الكثيرون. لذا، سأمضي معها ما بقي من أيَّامي، حتى يحين موعد اللقاء الأخير، وتفارق روعي الحياة.

"كُن سندا لنفسك"

تمسك بنفسك، واعرف قيمتك جيّدًا. أنتَ لنفسك قبل أن تكون لأيِّ أحدٍ آخر، فلا تنتظر من الآخرين أن يمنحوك السعادة أو الطمأنينة. كُن سندا لنفسك، واصنع قوّتك من أعماق روحك، فالحياة لا تنتظر الضعفاء، ولا تمنح الفرص لمن يتردّد في أخذها.

كُن ثابتًا في مواقفك، وواجه الصعوبات بثقة، فأنت أقوى ممّا تظن، وأحقّ بالسعادة من أن تجعلها رهوناً بأحد. لا تجعل انتظارك لغيرك يُضعفك، ولا تبحث عن قيمتك في عيون الآخرين، فمكانتك الحقيقية تبدأ من داخلك.

"استقلالية الروح"

أجمل ما في هذه الحياة أن تعتمد على نفسك فقط، وألا تجعل احتياجك للآخرين أساساً لوجودك. فالحياة مليئة بالأشخاص الذين تسعى دائماً لإرضائهم، تُعطيهم من وقتك واهتمامك، لكنهم لا يبادلونك حتى بالقليل.

لقد أرهقتني العلاقات التي تجعلني أشعر بأنني الطرف الوحيد الذي يبذل الجهد للحفاظ عليها، فليس العطاء جميلاً إن كان من طرفٍ واحد. لذا، اخترت أن أكون سنداً لِنفسي، وألا أنتظر من أحدٍ ما لا يستطيع منحه.

"قيمة الذات في الاستغناء"

تعلّم أن تستغني، فالاستغناء عزٌّ وكرامة. وتذكّر أن من أرادك حقًا سيبقى،
ومن لم يُقدّر وجودك، فلن يكون خسارته إلا مكسبًا لك.

ازرع لنفسك طريقًا مليئًا بالأمل، ولا تجعل قيمتك مرتبطةً بحضور أحدهم أو
غيابهم. كن عظيمًا بذاتك، مستقلًا بأفكارك، واثقًا بأن الحياة تمضي، وأن
الأفضل دائمًا في الطريق.

"جميلٌ هو كوطنٍ مُحرَّرٌ"

جميلٌ هو كالوطن حين يعود إليه المسافرون بالخوف، حين تتعافى الأرواحُ بعضها بلا حذر، حين يكون الحبُّ لغةً لا تعترضها القيود، وحين يكون الغدُّ صفحةً بيضاءً يملؤها الأمل.

وجميلٌ هو كوطنٍ يُحرَّر من كل الأغلال، ويفتح ذراعيه للغيمات، ويتنفس الصبحَ بحرية. جميلةٌ هي الطرقاتُ التي استعادت ضحكات الأطفال، والوطنُ حين يزهر حرًّا، يصبح أجملَ قصيدةٍ لم تُكتب بعد.

"أسرار الأعماق"

ها هي روحٌ تتهاوى في عمقٍ لا نهاية له، جسدٌ يغرق في الظلام، يترك خلفه آخر أنفاسه، بينما يحتضنه الماء بلا رحمة، يسحبه إلى الأعماق حيث الصمت والبرد القارس.

هل كان سقوطه مقصودًا، أم استسلامًا دون مقاومة؟ عيناه تتعلقان بأخر خيوط الضوء، يتذكر كل خذلان وانكسار، كل يد امتدت إليه ثم انسحبت. لا يرى في ذاكرته وجوهًا محبة، بل قهراً صار جزءًا منه.

في تلك الأعماق، يتلاشى كل شيء؛ لا أسماء، لا ألقاب، لا أفكار، لا صخب. فقط كيانٌ يغرق بين لحظة وجود ولحظة مجهولة المصير. هل هي النهاية، أم بداية جديدة؟ لا أحد يعلم... سوى البحر، والبحر لا يبوح بأسراره أبدًا.

"التأقلم مع الألم"

إن التأقلم مع الوجود لا يعني زواله، لكنه يمنحنا صلابةً تجعلنا أقوى في مواجهة الحياة. فبعض الجراح لا تلتئم مهما مرّ الوقت، لكنها تعلّمنا كيف نعيش رغمها، وكيف نمضي قدماً دون أن نُعيقنا.

لذا، لا بأس إن شعرت بالضعف أحياناً، فالنضج لا يكمن في إخفاء الألم، بل في إدراك أنه جزء من الرحلة، وأن القوة الحقيقية تكمن في تقبّل الحياة كما هي، بكل ما فيها من خيباتٍ وانتصارات.

أعلم أن النسيان شيءٌ مؤذٍ، ولكن، يا عزيزي، هذه هي الحياة. فعليك أن تصمد وتتأقلم مع هذا الواقع. اجعل الذين سخرُوا منك وألحقوا بك الأذى في الماضي أولَ من يُصدم بهذا التغيير العظيم. كن قوياً، وانهض من جديد، فالحياة لا تنتظر أحداً، والتغيير يبدأ منك أنت.

الكاتبة سلسبيل أحمد عبد الحميد، من مواليد 28 أغسطس 2006، من
محافظة القليوبية. تتميز بكتابة الخواطر والإنشاد.